# 21

# معلومات حول الخليفة المنصور
# من مخطوطة داخل كتاب «مختصر الدول» بار جبري

يحتفظ معهد المخطوطات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم الروسية في سانت بطرسبورج بالمخطوطة العربية رقم « إس- ٧٠٣ » ، وهي من الأعمال التي وردت في كتاب «مختصر الدول» لصاحبه المؤرخ والفيلسوف ورجل الدين يوحنا جريجوريوس أبو الفرج (بن العبري) بارخبريوس الملطي ( ١٢٢٦- ١٢٨٦ ) ، وهو مسيحي من أصل سوري . والمعروف كذلك باسم بار جبراية ، بار جبري أو بارهيبريوس [٦٤١] . تتضمن هذه المخطوطة فيضاً من المعلومات عن الخليفة المنصور ( ٧٥٤- ٧٧٥ ) أحد حكام الدولة العباسية ، والذي لعب دوراً هاماً في تأسيس تلك الدولة . ولم تتضمن قائمة تلك المخطوطة مؤلفها [٦٤٢] . ويعود تاريخ تلك المخطوطة إلى السادس والعشرين من أغسطس لعام ١٦٠٥ ( الثالث عشر من ربيع الثاني لعام ١٠١٤هجرية ) وتم كتابة نص المخطوطة بخط نسخ غير متساوى (والعناوين كتبت بحروف كبيرة ) على ورق أوروبي مصحوباً بزركشة مخرمة في صورة مرساة بيضاوية الشكل باستخدام الحبر الأسود ، وتم كتابة بعض العناوين بالحبر الأحمر ، وكذلك إطار النص ، والعلامات التي تفصل بين الجمل [٦٤٣] . وكانت القائمة تتضمن ١١٥ ورقة [٦٤٤] .

---

٦٤١ عن مقالة : Сведения о халифе Ал-Мансуре в рукописи сочинения Мухтасар Ад-Дувал» Бар Гебрея»، والتي نشرت بمجلة «الأرشيف الشرقي»، إصدار معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية للمستشرقة الروسية Veronica Kunkova إ.يو. كراتشكوفسكي، أعمال مختارة ، موسكو ١٩٥٧ ، المجلد الرابع ، صـ ٨٢٦ .

٦٤٢ ل.إ . ميخائيلوفا فهرس المخطوطات العربية بمعهد شعوب آسيا ، أكاديمية العلوم السوفيتية / موسكو ، ١٩٨٦ ، الإصدار الثالث ، من صـ ٥٤ : صـ ٥٥ .

٦٤٣ المصدر السابق .

٦٤٤ المخطوطات العربية بمعهد علوم الاستشراق . الفهرس المختصر ، موسكو ، ١٩٨٦ ، الجزء الأول صـ ٤٢٣ .

يقدم هذا الكتاب عرضاً مختصراً لتاريخ العالم، كما يقدم عرضاً لموضوعات من الإنجيل، وتاريخ إيران القديم، وتاريخ اليونان، والإمبراطورية الرومانية، وتاريخ بيزنطة، والخلافة العربية حتى الغزو المغولي. ويفرد كتاب «مختصر الدول» فصلاً كاملاً عن التاريخ العربي، وينقسم إلى عشرة أجزاء (وفقاً لاسم كل دولة) كما ينقسم كل جزء إلى فصول.

يُعد الفصل الخاص بأبي جعفر المنصور من أكبر فصول المخطوطة وذلك مقارنة بالفصول الأخرى التي تتحدث عن باقي الخلفاء، حيث يشغل هذا الفصل صفحتين كاملتين من المخطوطة. وتتضمن ترجمة المقتطف الموجود بالأسفل حقائق هامة عن فترة حكم الخليفة المنصور، وبعض التفاصيل الهامة التي تهم المؤرخين والتي ستساعدهم في وضع تصور كامل عن خلافة الدولة العباسية.

« أبو جعفر المنصور» هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، بويع له سنة سبع وثلاثين ومائة. وفي هذه السنة قتل أبو مسلم الخراساني. قتله المنصور بسبب أنهما حجا معاً في أيام السفاح. وكان أبو مسلم يكسو الأعراب ويصلح الآبار والطرق. وكان الذكر له. فحقد أبو جعفر ذلك عليه. ولما صدر الناس عن الموسم تقدم أبو مسلم في الطريق على أبي جعفر فأتاه خبر وفاة السفاح فكتب إلى أبي جعفر يعزيه عن أخيه ولم يهنئه بالخلافة ولم يقم حتى يلحقه ولم يرجع إليه. فخافه أبو جعفر المنصور وأجمع الرأي وعمل المكايد وهجر النوم إلى أن اقتنصه. وكان أبو مسلم قد استشار رجلاً من أصحابه بالري في رجوعه إلى المنصور فقال: لا أرى أن تأتيه وأرى أن تمتدّ إلى خراسان. فلما لم يقبل منه وسار نحو المنصور قيل له: «تركت الرأي بالريّ» فذهب مثلاً. فلما دنا أبو مسلم من المنصور أمر الناس بتلقيه وإكرامه غاية الإكرام. ثم قدم فدخل على المنصور وقبل يده. فأمره أن ينصرف ويروح نفسه ليلته ويدخل الحمام. فانصرف. فلما كان من الغد أعد المنصور من أصحاب الحرس أربعة نفر وأكمنهم خلف الرواق وقال لهم: إذا أنا صفقت بيديّ فشأنكم. وأرسل إلى أبي مسلم يستدعيه ودخل على المنصور فأقبل عليه يعاتبه ويذكر عثراته. فمما عد عليه أن قال: ألست الكاتب إليّ تبدأ بنفسك. ودخلت علينا وقلت: أين بان الحارثية. ويأتيك كتابي، فتقرأه استهزاءً ثم تلقيه إلى مالك ابن الهيثم ويقرأه وتضحكان. فجعل أبو مسلم يعتذر إليه ويقبل الأرض بين يديه. فقال المنصور: قتلني الله إن لم أقتلك. وصفق بيديه فخرج الحراس يضربونه بسيوفهم وهو يصرخ ويستأمن ويقول: استبقني لعدوك يا أمير المؤمنين. فقال له المنصور: وأي عدو لي أعدى منك.

وفي سنة أربعين ومائة سير المنصور عبد الوهاب ابن أخيه إبراهيم بن محمد الإمام في سبعين ألف مقاتل إلى ملطية. فنزلوا عليها وعمروا ماكان خربه الروم منها. ففرغوا من العمارة في ستة أشهر. وأسكنها المنصور أربعة آلاف من الجند وأكثر فيها من السلاح والذخائر وبنى حصن قلوذية. وفي هذه السنة خرج الروادية على المنصور بمدينة الهاشمية. وهم قوم من أهل خراسان يقولون بتناسخ الأرواح ،ويزعمون أن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور. وجعلوا يطوفو بقصره ويقولون: هذا قصر ربنا فأنكر ذلك المنصور وخرج إليهم ماشياً . إذ لم يكن في القصر دابة. ونودي في أهل السوق فاجتمعوا وحملوا عليهم وقاتلوهم فقتلوا ، أعني الروادية جميعاً . وهم يومئذ ستمائة رجل.

وفي السنة الرابعة والأربعين أخذ المنصور من أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب اثني عشر نفساً ورحلهم من المدينة إلى الكوفة وحبسهم في بيت ضيق ، حتى ماتوا عن آخرهم. فخرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة ، وجمع الجموع وتسمى بالمهدي. وخرج ابراهيم أخوه بالبصرة في ثلاثين ألفاً. وقتلا ولم ينجحا.

وفي سنة خمس وأربعين ومائة ابتدأ المنصور في بناء مدينة بغداد. وسبب ذلك أنه كان قد ابتنى الهاشمية بنواحي الكوفة. فلما ثارت الروادية به . فيها كره سكناه لذلك ولجوار أهل الكوفة أيضاً . فإنه كان لا يأمن أهلها على نفسه وكانوا قد أفسدوا جنده. فخرج بنفسه يرتاد موضعاً يسكنه هو وجنده. فقال له أهل الحذق: إنّا نرى يا أمير المؤمنين أن يكون على الصراة وبين أنهار لا يصل إليك عدوك إلا على جسر ، فإذا قطعته لم يصل إليك. وأنت متوسط للبصرة والكوفة و واسط والموصل والسواد. ودجلة والفرات والصراة خنادق مدينتك. وتجيئك الميرة فيها من البر والبحر. فازداد المنصور حرصاً على النزول في ذلك الموضع. ولما عوم على بناء بغداد أمر بنقض المدائن وايوان كسرى. فنقضه ونقله إلى بغداد. فنقضت ناحية من القصر الأبيض وحمل نقضه فنظر وكان مقدار ما يلزمهم له أكثر من ثمن الجديد فأعرض عن الهدم. وجعل المدينة مدورة ، لئلا يكون بعض الناس أقرب إلى السلطان من بعض. وعمل له سورين للداخل أعلى من الخارج. وبنى قصره في وسطها والمسجد الجامع بجانب القصر وقبلته غير مستقيمة يحتاج المصليّ أن ينحرف إلى باب البصرة. وكانت الأسواق في مدينته فجاءه رسول لملك الروم. فأمر الربيع فطاف به في المدينة. فقال: كيف رأيت. قال: رأيت بناء حسناً إلا أني رأيت أعداءك معك وهم السوقة. فلما عاد الرسول عنه أمر بأخراجهم إلى ناحية الكرخ . وأمر أن يجعل في كل ربع من مدينته بقالاً

يبيع البقل والخل فحسب. في سنة خمسين ومائة مات أبو حنيفة النعمان بن ثابت الإمام. وفي سنة ثماني وخمسين ومائة سار المنصور من بغداد ليحج فنزل قصر عبدويه فانقض في مقامه هنالك كوكب بعد بزوغ الفجر، وبقي أثره بيناً إلى طلوع الشمس. فأحضر المهدي ابنه وكان قد صحبه ليودعه فوصاه بالمال والسلطان. وقال له أيضاً: أوصيك بأهل البيت أن تظهر كرامتهم؛ فإن عزك عزهم وذكرهم لك وما أظنك تفعل. وانظر مواليك وأحسن إليهم واستكثر منهم؛ فإنهم مادتك لشدةٍ إن نزلت بك وما أظنك تفعل. وانظر هذه المدينة وأياك أن تبني المدينة الشرقية، فإنك لاتتم بناءها وأظنك ستفعل. وإياك أن تدخل النساء في أمرك وأظنك ستفعل. هذه وصيتي إليك والله خليفتي عليك. ثم ودعه وبكى كل منهما إلى صاحبه. ثم سار إلى الكوفة وكلما سار منزلاً اشتد وجعه الذي مات به وهو القيام. فلما وصل إلى بئر ميمون مات بها مع السحر، لستّ خلون من ذي الحجة سنة ثماني وخمسين ومائة. وحمل إلى مكة وحفروا له مائة قبر ليعموا على الناس ودفن في غيرها مكشوف الرأس لإحرامه وكان عمره ثلاثاً وستين سنة وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة. وقيل في صفته وسيرته إنه كان أسمر نحيفاً خفيف العارضين، وكان من أحسن الناس خلقاً ما لم يخرج إلى الناس. وأشدهم احتمالاً لما يكون من عبث الصبيان. فإذا لبس ثيابه وخرج هابه الأكابر فضلاً عن الأصاغر. ولم ير في داره ولا شيء من اللعب والعبث. قال حماد التركي: كنت واقفاً على رأس المنصور فسمع جلبة فقال: انظر ما هذا. فذهبت فإذا خادم له قد جلس وحوله الجواري وهو يضرب لهن بالطنبور وهن يضحكن فأخبرته فقال: وأي شيء الطنبور؟ فوصفته له. فقال: ما يدريك أنت ما الطنبور. قلت: رأيته بخراسان. فقام ومشى إليهن. فلما رأينه تفرقن. فأمر بالخادم فضرب رأسه بالطنبور حتى تكسر الطنبور وأخرجه فباعه. ولم أفضى إليه الأمر أمر بتغيير الزي وتطويل القلانس. فجعلوا يحتالون لها بالقصب من داخل، وأمر بعد دور أهل الكوفة وقسمة خمسة دراهم على كل دار. فلما عرف عددهم جباهم أربعين درهماً أربعين درهماً.

وكان المنصور في صدر أمره عندما بنى بغداد، أدركه ضعف في معدته وسوء استمراء وقلة شهوة. وكلما عالجه الأطباء ازداد مرضه. فقيل له عن جيورجيس بن بختيشوع الجنديسابوري إنه أفضل الأطباء. فتقدم بإحضاره. فأنفذه العامل بجنديسابور بعد ما أكرمه. فخرج ووصى ولده بختيشوع بالبيمارستان واستصحب معه تلميذه عيسى ابن شهلاثا. ولما وصل إلى بغداد أمر المنصور بإحضاره. فلما وصل إلى الحضرة، دعا له

بالفارسية والعربية. فعجب المنصور من حسن منطقه ومنظره وأمره بالجلوس وسأله عن أشياء فأجابه عنها بهدوء. وخبره بمرضه. فقال له جيورجيس: أنا أدبرك بمشيئة اللّه وعونه. فأمر له في الوقت بخلعة جليلة وتقدم إلى الربيع بإنزاله في أجمل موضع من دوره وإكرامه كما يكرم خاصة أهله. ولم يزل جيورجيس يتلطف له في تدبيره حتى برأ من مرضه وفرح به فرحاً شديداً. وقال له يوماً: من يخدمك ههنا ؟ قال: تلامذتي. فقال له الخليفة: سمعت أنه ليست لك امرأة. فقال : لي زوجة كبيرة ضعيفة لا تقدر على النهوض من موضعها. وانصرف من الحضرة ومضى إلى البيعة. فأمر المنصور خادمه سالم أن يحمل من الجواري الروميات الحسان ثلاثاً إلى جيورجيس مع ثلاثة آلاف دينار. ففعل ذلك. فلما انصرف جيورجيس إلى منزله عرفه عيسى بن شهلاثا تلميذه بما جرى وأراه الجواري. فأنكر أمرهن وقال لعيسى: يا تلميذ الشيطان لم أدخلت هؤلاء إلى منزلي. أردت أن تنجسني. امضِ وردهن على أصحابهن. فمضى إلى دار الخليفة وردهن على الخادم. فلما اتصل الخبر إلى المنصور أحضره وقال له: لم رددت الجواري. قال: لا يجوز لنا معشر النصارى أن نتزوج بأكثر من امرأة واحدة . وما دامت المرأة حية لا نأخذ غيرها. فحسن موضع هذا من الخليفة وزاد موضعه عنده. وهذا ثمرة العفة. ولما كان في سنة اثنتين وخمسين ومائة مرض جيورجيس مرضاً صعباً. ولما اشتد مرضه أمر المنصور بحمله إلى دار العامة وخرج ماشياً إليه وتعرف خبره. فخبره وقال له: إن رأي أمير المؤمنين أن يأذن لي في الانصراف إلى بلدي لانظر أهلي وولدي وإن متُّ قبرت مع آبائي. فقال له: يا حكيم اتق اللّه وأسلم وأنا أضمن لك الجنة. قال جيورجيس قد رضيت حيث آبائي في الجنة أو في النار. فضحك المنصور من قوله ثم قال: إنني منذ رأيتك وجدت راحة من الأمراض التي كانت تعتادني. فقال جيورجيس: أنا أخلف بين يدي أمير المؤمنين عيسى تلميذي فهو ماهر. فأمر لجيورجيس بعشرة آلاف دينار وأذن له بالانصراف وأنفذ معه خادماً وقال: إن مات في الطريق فاحمله إلى منزله ليدفن هناك كما أحب. فوصل إلى بلده حياً. ثم أمر المنصور بإحضار عيسى بن شهلاثا. فلما مثل بين يديه سأله عن أشياء فوجده ماهراً فاتخذه طبيباً. ولما استصحبه المنصور بدأ في التشاور والأذية خاصة على المطارنة والأساقفة ومطالبتهم بالرشى. ولما خرج المنصور في بعض أسفاره وصل إلى قرب نصيبين. فكتب عيسى إلى قوفريان مطران نصيبين يتهدده ويتوعده إن منع عنه ما التمسه منه. وكان عيسى قد التمس أن ينفذ له من آلات البيعة أشياء جليلة ثمينة لها قدر. وكتب في كتابه إلى المطران: ألست تعلم أن أمر الخليفة في يدي إن أردت أمرضته ، وإن أردت

شفيته؟ فلما وقف المطران على الكتاب احتال في التوصل إلى الربيع وشرح له صورة الحال فأقرأه الكتاب وأوصله الربيع إلى الخليفة أوقفه على حقيقة الأمر. فأمر المنصور بأخذ جميع ما يملكه عيسى الطبيب وتأديبه ونفيه. ففعل به ذلك ونفي أقبح نفي. وهذا ثمرة الشر. وكان نوبخت المنجم الفارسي يصحب المنصور . وكان فاضلاً حاذقاً خبيراً باقتران الكواكب وحوادثها. ولما ضعف عن الصحة قال له المنصور: أحضر ولدك ليقوم مقامك. فسير ولده أبا سهل. قال أبو سهل: فلما دخلت على المنصور ومثلت بين يديه قيل لي: تسمَّ لأمير المؤمنين. فقلت: اسمي :خرشاذماه طيماذاه ماباذار خسرو ابهمشاذ. فقال لي المنصور: كل ما ذكرت فهو اسمك! « قال « قلت: نعم. فتبسم المنصور ثم قال: ما صنع أبوك شيئاً فاختر مني إحدى خلتين إما أن اقتصر بك من كل ما ذكرت على طيماذ وإما أن تجعل لك كنية تقوم مقام الاسم وهي أبو سهل. قال أبو سهل: قد رضيت بالكنية. فبقيت كنيته وبطل اسمه. [٦٤٥] .

٦٤٥ أبو الفرج يوحنا باركيرجوريبوس بن هارون الموتاتبيب المولاتي النصراني . مختصر الدول . المخطوطة العربية رقم إس - ٣٠٧ من مجموعة معهد المخطوطات الشرقية بأكاديمية العلوم فالروسية في سانت بطرسبورج .



obeikandl.com